



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات ديسمبر ٢٠١٦

أحبابي،

سلام ونعمة.

أود أن أحدثكم اليوم عن: كيفية أن نكون قادة في حياتنا الروحية.

في الرسالة إلى أهل فيليبي نقرأ الآتي: "إِذَا يَا أَحِبَّائِي، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطُّ، بَلِ الْآنَ بِالْأُولَى جِدًّا فِي غِيَابِي، تَمَّمُوا خَلَاصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمُسْرَةِ" (في ١٢: ١٣).

هنا كان القديس بولس، والذي كان في ذلك الوقت سجيناً في روما، يُدكر أهل فيليبي أن الخادم الحقيقي هو الذي يكون مطيعاً في غياب سيده، قال هذا وهو متأكد من نواياهم الحسنة، ثم ناشدهم أن يواصلوا فعل الخير والصالحة لأن الله دائماً "ما يعمل مع المريدين والمبتغين"^(١).

أود لنا أن نكون نحن كالمثليين لهذه الرسالة، ونرى كيف يمكننا أن نحيا بكلمات بولس الرسول المباركة.

عندما نحيا باستمرار في حضرة الله ونعمل من أجل خلاصنا في مخافة الله، يمكننا حقاً أن نُعتبر قادة مثمريين لحياتنا الروحية، وبناءً على

ذلك، دعونا نستعرض صفات مثل هؤلاء القادة:

١. القائد هو من يكون لديه الحكمة.

٢. هو من يكون لديه نفساً قوية، وذو قدرة على الاحتمال.

٣. هو من يحيا، أولاً، بالمثل الذي يعظ به، أي يبدأ بنفسه.

٤. هو الذي يكون خادماً حقيقياً للجميع.

٥. هو الذي، وقبل كل شيء، لديه محبة كبيرة للجميع.

+ ينبغي علينا أن نسعى لنوال حكمة: "بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ" (أم ٩: ١٠). لن يقوى أحد على هزيمة الروح التي سُمّرت بخوف الله. لأنه إن كانت الروح مُسَمَّرَة (أي مثبتة بالمسامير)، تكون أكثر ثباتاً من أن تكون مجرد مزروعة.

في الواقع، فقد ذكر داود النبي ذلك في صلاته عندما قال: "سُمِّرَ خَوْفِكَ فِي لَحْمِي" (مز ١١٨: ١٢٠ قبطية)^(٢). القائد الجيد يسير دائماً في مخافة الله، ويستخدم الحكمة في التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، لكيما لا يكسر عهداً أو وصية ما.

ينبغي لنا أن نتعلم من سليمان الملك الذي صلّى إلى الله طالباً الحكمة قبل بداية حكمه وقيادته للشعب؛ ولكن بالنسبة لنا فنحن لا نطلب الحكمة لندين الآخرين، ولكن لنحكم، بالحري، على أفكارنا وأفعالنا الخاصة بشكلٍ وإفٍ كامل. ولذلك "إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تَعَوَّزُهُ حِكْمَةٌ، فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يَعْزِزُ، فَسَيُعْطَى لَهُ" (يع ١: ٥).

+ ينبغي علينا ألا نتقاد لمشاعرنا: "غَضَبُ الْجَاهِلِ يُعْرِفُ فِي يَوْمِهِ، أَمَّا سَائِرُ الْهَوَانِ فَهَوْدَجِي" (أم ١٢: ١٦). كم من مرة شعرنا بالندم حيال ردود أفعالنا عندما واجهنا اختباراً ما؟ لأن اتخاذ قرارات بناءً على مشاعرنا هو سلوك لا يليق بقائدٍ. إحساسنا بالجرح أو الإحباط لا ينبغي أن يؤثر إطلاقاً على أمانتنا نحو القيام بمسئولياتنا. "لاحظ الآن وقبل كل شيء أن الحكم العاقل يسود على العاطفة (المشاعر) بحكم فضيلة القدرة على الكبح الناتجة من ضبط النفس"^(٣).

نحن غالباً ما نتخذ موقفاً دفاعياً عندما نتعرض للنقد، أو في بعض الأحيان، وحتى نؤمن جميع الجهات، ندافع عن أنفسنا قبل أن يجد أي شخص الفرصة لقول أي شيئاً سلبياً عنا! بدلاً من فعل هذا، دعونا نتبع مثال ربنا يسوع المسيح الذي بقي صامتاً في وقت التجربة: "فَسَأَلَهُ بِيلاطُسُ أَيْضًا قَائِلًا: «أَمَا تُجِيبُ بَشِيءٍ؟ أَنْظُرْكُمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ!» فَلَمْ يُجِبْ يَسُوعُ أَيْضًا بِشَيْءٍ حَتَّى تَعَجَّبَ بِيلاطُسُ." (مر ١٥: ٤-٥). لم يكن ربنا يسوع المسيح مسرعاً في رد الفعل حيال أي شيء، "الَّذِي إِذْ سْتَمَّ لَمْ يَكُنْ يَسْتَمُّ عَوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَهْدِدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ" (١ بط ٢: ٢٣).

(١) مترجم من الإنجليزية [Chrysostom, "Homily on Philippians," in John Chrysostom. Ancient Christian Commentary (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2001), 258.]

(٢) مترجم من الإنجليزية [Chrysostom, "Homilies on the Gospel of John 54," in Fathers of the Church. Ancient Christian Commentary (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2001), 334.]

(٣) مترجم من الإنجليزية 4 Mac. 1: 30 RSV

+ ينبغي علينا أن نكون مثلاً حياً يُحتذى به: "فَلْيُضَيِّ نُورَكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٥: ١٦).

هل أفعالنا دائماً ترضي أو تمجد الله؟ أم أنها تكون في بعض الأحيان لإرضائنا نحن أو لتمجيد ذاتنا؟
هل نتحدث أفعالنا بصوت أوضح وأكثر إقناعاً من الكلمات. أم أننا نعظ الآخرين ما لا نمارسه بأنفسنا؟
هل نستطيع حقاً أن نقول مع الرسول: "كُونُوا مُمَثِّلِينَ لِي كَمَا أَنَا أَيْضاً بِالْمَسِيحِ" (١ كو ١١: ١). أم أن أفعالنا توجد دائماً ناقصة وفي حاجة إلى تعديل؟

أحبائي، "الَّذِي تَفَخَّرَ بِالنَّامُوسِ، أَبَتَعَدِي النَّامُوسِ تَهِينُ اللَّهِ؟" (رو ٢٣: ٢٣). كيف يمكننا أن نبرر شعورنا بالجرح أو الإهانة من الآخرين بينما نعمل نحن نفس تلك الأشياء المشينة؟! إن ذاكرتنا دائماً ما تكون قوية في تذكُّر أخطاء الآخرين، وضعيفة جداً في تذكُّر أخطائنا الخاصة. كان القديسون في الماضي يهربون من المجد ويتلهفون لحمل الصليب. لكن في أيامنا هذه، فإننا في كثير من الأحيان نسعى للأشياء والأفعال التي تجلب لنا الثناء والمدح، ونهرب من الصليب.

إذا فعلنا ذلك، واضطربنا عندما بدت الأمور صعبة، فلماذا إذاً نتوقع الكثير من الآخرين؟ على كل حال، أمانتنا نحو الله لا تتوقف على سلوك الآخرين. ما يفعلون أو ما لا يفعلون، هو بينهم وبين الله، فبدلاً من إضاعة الوقت في ملاحظة الآخرين، ينبغي علينا أن نكون المثال الصالح.

+ ينبغي علينا أن كذلك نكون خُدام حقيقيين. "فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيماً، يَكُونُ لَكُمْ خَادِماً، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا. لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْدِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مر ١٠: ٤٣-٤٥). تأمل ربنا يسوع المسيح الذي أتى إلينا "أَخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ" (في ٢: ٧) في طاعة كاملة لأبيه السماوي ووالديه على الأرض. بالرغم من أنه الله، لكنه لم يعيش وسطنا كإنسان متسلط، ولكن كخادم حقيقي، دائماً موجود وقت الحاجة، لم يطالبنا بأي شيء لم يفعله هو أولاً، وعلى أفضل وجه ليعطينا المثال. ينبغي ألا يحاف القائد من أن يكون متضعاً، وكأن هذا يشكل تهديداً له. فرعون لم يشعر أنه مُهَدَّد من قِبَل يوسف، وهذا أصبحت مصر أقوى دولة في العالم. من ناحية أخرى، شعر شاول أنه مُهَدَّد من قِبَل داود، فخسر كل شيء، الأمر الذي كان من الممكن أن لا يحدث. "قبل أن يخلي (السيد المسيح) ذاته، لم يكن يعرفه إلا الملائكة فقط. وبعد أن أخلى ذاته، كل البشرية عرفته. أترى كيف أن إخلاء ذاته لم يجعله يخسر، بل أثمر عن فوائد لا تُحصى للبشر. وأفعال لا تُحصى من الفضيلة، وجعل مجده يسطع بلمعان أعظم. الله لا يريد شيئاً ولا يحتاج شيئاً، ومع ذلك عندما أخلى ذاته أتى بخير عظيم، نما وتعاضم بيته، وزاد اتساع مملكته، لماذا إذن تخشى أن تصير أقل إذا ما اتضعت؟" (٤)

أحبائي، "تَمَمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْراً وَاحِداً وَلَكُمْ مَحَبَّةً وَاحِداً بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُتَكَبِّرِينَ شَيْئاً وَاحِداً" (في ٢: ٢). فلتكن طاعتكم وأعمالكم الصالحة في حضرة الله وليس من أجل إنسان. كونوا قادة مثمريين في حياتكم الروحية لأجل خلاصكم. كونوا حكماء ومتضعين، أقوياء وأمثلة جيدة، "وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، لِيَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثَرَةَ مِنَ الْخَطَايَا" (١ بط ٤: ٨). فلنصبر جميعنا على صورة ربنا يسوع المسيح، ولننتبع مثاله الذي يبلغ حد الكمال.

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.